أ.سمير يونس

كلية العلوم الاقتصادية

جامعة باجي مختار-عنابة-

ضحايا العنف الأسري في المجتمع الجزائري

دراسة حالة العائدين منهم إلى الانحراف

دراسة استطلاعية من منظور سوسيولوجي للخصائص الشخصية والأسرية والايكولوجية لعينة من السجناء بولاية عنابة

تمهيد

تعالج الدراسة السوسيولوجية الحالية مشكلة اجتماعية جد خطيرة في المجتمع الجزائري وهي: ظاهرة العود إلى الانحراف عند ضحايا العنف الأسري. **La récidive chez les victimes de la violence familiale dans la société algérienne.**

تكمن أهمية هذه الدراسة انطلاقا من تسليط الضوء على مواطن الغموض التي تكتنف ظاهرة العود إلى الانحراف على مستوى المعالجة السوسيولوجية الميدانية- حيث تصنف ثاني دراسة في هذا المجال.وكذلك تبرز أهمية المعالجة الحالية في دراسة تحول فئة ضحايا العنف الأسري إلى ممارسين للانحراف، وأكثر من ذلك إلى عائدين إلى الانحراف بشتى درجاته بما في ذلك الجريمة والعنف.حيث سيتم إبراز توجه ضحية العنف الأسري إلى انتهاج العنف والانحراف في تفاعلها الاجتماعي داخل وخارج الأسرة — البيئة التي تعرضت فيها الضحية للعنف بشتى إشكاله ودرجاته.

وانطلاقا مما سبق تستهدف الدراسة استنطاق الواقع الميداني من اجل استكشاف الخصائص الشخصية والأسرية والايكولوجية التي تميز

ضحايا العنف الأسري، والذين توجهوا نحو ممارسة الانحراف من جديد(العود إلى الانحراف).

وعلى ضوء ما سبق كان التساؤل المركزي للدراسة على النحو التالي:

ما هي الخصائص الشخصية والأسرية والايكولوجية المميزة لضحايا العنف الأسري (العائدين منهم إلى الانحراف) في المجتمع الجزائري ؟

وقد كانت الأسئلة الفرعية على النحو الموالي:

1- ما هي الخصائص الشخصية المميزة لضحايا العنف الأسري(العائدين منهم إلى الانحراف) ؟

وللإجابة عن هذا السؤال سيتم التركيز على:

- السن، الحالة المدنية، الوضعية المهنية، الحالة الصحية، المستوى التعليمي، المسيرة الانحرافية والإجرامية.

- من الناحية العنفية، سنحاول معرفة: طبيعة العنف الممارس، آثاره، الضحية، المعتدي.

2- ما هي الخصائص الأسرية المميزة لضحايا العنف الأسري(العائدين منهم إلى الانحراف) ؟

ومن أجل ذلك سيتم التركيز على الأمور التالية: المستوى الاقتصادي، المستوى التعليمي للوالدين، الحالة المدنية، الحالة الصحية، الجانب العلائقي، النموذج التربوي.

3- ما هي الظروف الإيكولوجية المميزة لضحايا العنف الأسري (العائدين منهم إلى الانحراف) ؟

حيث سيتم التركيز على: المنطقة العمرانية، الحي السكني، المسكن العائلي.

أولا: الجهاز المفهمي

1- العود إلى الانحراف

يكتنف مفهوم العود إلى الانحراف من الناحية التعريفية الكثير من الغموض واللاتوافق الاصطلاحي في تحديد ماهيته، وذلك على مستوى العديد من العلوم الإنسانية.ورغم ذلك هناك:

من ضمن التناولات اللغوية التي عرفت العود إلى الانحراف، هناك على سبيل الذكر ما يلي:

- "العود بفتح العين وسكون الواو من عاد يعود عودة وعودا بمعنى الرجوع، فيقول عاد فلان إلى الشيء وعاد فيه، بمعنى رجع إليه، أو فيه بعد أن بدأه أول مرة."(احمد حبيب السماك، 1984، ص25). وكذلك "عاد معاودة وعودا الرجل...الشيء: جعله من عادته."(كرم البستاني وآخرون، 1997،ص 536).

يتبين بوضوح فيما يخص **التناول العقابي**، أنه عالج العود بصفة متنوعة وذات دلالات مختلفة، ومن جملة تعريفات التناول العقابي هناك مثلا: ما جاء به فاروق سيد عبد السلام عند عرضه لتعريف نورفال لمادة العود:

"إن المجرم العائد في نظر علم العقاب هو السجين الذي سبق إيداعه في السجن من قبل بسبب الحكم عليه في جريمة...."(فاروق عبد السلام، 1988 ،ص 18).

وبغض النظر عن عدم وجود إجماع لدى علماء العقاب، فيما يخص معالجتهم لمادة العود العقابي، إلا أنه يمكن القول أن المحور الأساسي لقيام حالة العود العقابي هو وجوب توفر شرط تنفيذ العقوبة في الجريمة الأولى،

وهذا من أجل التيقن عمليا من عدم نجاعة أو فعالية هذه العقوبة في تقويم سلوك الشخص إبان ارتكابه للجرم الأول.

من ناحية المعالجة القانونية وبالضبط في القانون الجزائري يتم التعامل مع العود الى الجريمة بصفته عبارة عن " قيام مجرم بارتكاب جريمة اخرى زيادة عن التي ارتكبها في السابق وذلك بعد صدور حكم نهائي فيها. يشكل العود ظرفا مشددا للعقوبة. " (ابتسام القرام، 1992، ص ص 233-234)

يسجل على مستوى المعالجة الإجرامية لمفهوم العود اختلاف واضح بين الإجراميين في تحديد ماهية هذه المادة، ورغم ذلك يمكن عرض ما يلي:

- العود هو "...مباشرة الشخص الذي سبق الحكم عليه أعمالا قد تؤدي إلى سقوطه حتى لو لم يكن القانون يرتب عليها عقوبات بمعناها التقليدي، وعليه فينظر إلى العود على أنه الظرف الموضوعي الذي بموجبه يعتبر الشخص في حالة خطرة بعد سبق الحكم عليه في جريمة."(محمود أبو زيد، 2003 ،ص 514)

- "المجرم العائد هو كل من ارتكب جريمة بعد أن سبق إدانته في جريمة أخرى، أو من عومل معاملة عقابية أو إصلاحية ... بل ويضيفون [علماء الإجرام] إليهم فئة المجرمين الذين لم يقعوا في أيدي القانون بالرغم من تكرار ارتكابهم للجرائم."(صالح السعد، 1999، ص46).

يتبين من خلال **التناول الإجرامي**، أنه هناك اهتمام جاد بمادة العود تعدى محدودية المرجعية القانونية، ليشمل المرجعية المجتمعية في تحديد ماهية العود إلى الانحراف، فعلى مستوى هذا التناول تبين العود الانحرافي الرسمي وغير الرسمي.

انطلاقا من عملية البحث النظري في المادة السوسيولوجية التي تناولت مفهوم العود، يمكن القول أنه لا يوجد هناك إجماع على تعريف موحد لهذه المادة بين السوسيولوجيين. إلا أنه يمكن التركيز على التعريف التالي:

"هو ذلك الذي يقوم بارتكاب جرم، وهو لا يستطيع أو لا يريد أن يتوب أو أن يعدل عن ارتكاب الجرم من جديد." (Albert Ogien ,1999, p24).

بهذا الطرح يكون الباحث قد أخرج النقاش المفهمي حول مادة العود من دائرة التناول القانوني والعقابي والإجرامي ليدخله ولو جزئيا في نطاق التناول السوسيولوجي. وهذا بالرغم من أن هذا الطرح هو أقرب إلى الطرح السيكو-جنائي منه إلى الطرح السوسيو-جنائي.

العود إلى الانحراف في التناول الإجرائي: هو فعل انتقال ضحية العنف الأسري من جديد إلى ارتكاب الانحراف، مهما كانت أشكال هذا الانحراف سواء كانت رسمية أو غير رسمية، وهذا بعدما تم ضبط اقترافه الانحراف -فيما سبق- بصفة رسمية أو غير رسمية. من جانب آخر يتميز ضحية العنف الأسري بجملة من الخصائص.

2- الخصائص (الشخصية – الأسرية – الايكولوجية)

يجب التركيز هنا على أنه سيتم استخدام مفهوم الخصائص، على مستوى هذه الدراسة الميدانية، للإشارة إلى جملة من المميزات الشخصية و الأسرية و الايكولوجية التي تميز ضحايا العنف الأسري- العائدين من جديد إلى الانحراف وذلك من النواحي التالية:

- الخصائص الشخصية للضحية العائدة إلى الانحراف، حيث يتعلق الأمر هنا بصفة أساسية بـــ:

سن ومكان الولادة، الجنس، الحالة المدنية، الحالة الصحية، المستوى التعليمي، الوضعية المهنية أو النشاطية، العنف الممارس على الضحية، المسيرة الانحرافية والإجرامية للضحية.

- الخصائص الأسرية للضحية العائدة إلى الانحراف ، حيث يتعلق الأمر هنا بصفة أساسية بـــ:

الحالة المدنية، الحالة الصحية، المستوى التعليمي للوالدين، الوضعية الصحية، المستوى الاقتصادي، الجانب العلائقي، نموذج التربية الممارس.

- الخصائص الإيكولوجية للضحية العائدة إلى الانحراف ، حيث يتعلق الأمر هنا بصفة أساسية بـــ: طبيعة المنطقة، مميزات الحي السكني، حالة المسكن.

من جهة أخرى، تعد عملية البحث في الخصائص الشخصية والأسرية و الإيكولوجية لضحايا العنف الأسري على مستوى هذه الدراسة، فرعا أساس على مستوى حقل التفكير في علم الضحايا. ومن المرتكزات الأساسية لأي علم هناك المفاهيم المستخدمة في نطاق تخصصه، والتي يجب تحديدها بصفة دقيقة في العملية البحثية. ومن جملة تلك المفاهيم –خاصة ما تعلق بموضوع الدراسة– هناك مفهوم الضحية (ضحية العنف الأسري)، ومفهوم العنف الأسري. فيا ترى ما المراد بهذين المفهومين من الناحية الاصطلاحية والإجرائية ؟

3- العنف الأسري وإشكالية التحديد المفهمي

تحيط بمفهوم العنف الأسري إشكالية الغموض التي تعترض عملية تحديده المفهمي، فهناك عدة طروحات تعريفية تنبثق أساسا من عدة اتجاهات فكرية معالجة لهذا المفهوم. وهذا ما يجعل إيجاد تعريف شامل

لمفهوم العنف الأسري مهمة جد صعبة. إلا أنه يمكن معالجة ذلك على النحو التالي:

قبل البدء في معالجة تعريفات العنف الأسري، يجب لفت الانتباه إلى أن المختصين، في دراستهم للعنف داخل الأسرة، يستخدمون مفاهيم ذات دلالة واحدة في الغالب -خاصة في المجتمعات الإسلامية- وهي: العنف الأسري، العنف العائلي، العنف المترلي، العنف البيتي.

ومن جملة التعريفات الموضوعة لمفهوم العنف الأسري، هناك من يركز أصحابها على طبيعة العنف الممارس، حيث يقرن أساسا بالعنف المادي، المتمثل في الإيذاء الجسدي الموجه نحو احد أفراد العائلة. ويتضح ذلك أكثر في التعريف التالي (أنتوني غدنز، 2005، ص 267):

العنف الأسري هو "... الإيذاء الجسدي الذي يمارسه احد أعضاء العائلة على فرد أو أفراد آخرين فيها"

لكن في الواقع أشكال العنف الأسري تتعدى الإطار المادي للعنف، لتشمل مظاهر عنفية معنوية، وفي هذا الصدد هناك التعريفين التاليين:

العنف الأسري: "هي عبارة تضم الكثير من الأشكال المختلفة من العنف، سوء المعاملة، الاحتقار، والتي من الممكن أن يعيشها البالغون أو الأطفال خلال علاقاتهم الحميمية، الوالدية..." (18)

ويشير صاحب التعريف التالي (عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشري، 2005، ص 56) إلى أن: "...أي أذى يوقع على أحد أفراد العائلة، وسوء المعاملة وحتى إهمال الأطفال يعتبر عنفا عائليا..."

فبالإضافة إلى تعدد أشكال الممارسة العنفية داخل البيئة الأسرية، هناك من التعريفات ما أضافت سبب حدوث هذه الممارسات، حيث جاء ما يلي (مصطفى عمر التير، 1997، ص 40):

العنف الأسري "عبارة عن فعل من أفعال العنف يقوم به أحد أفراد الأسرة ضد عضو آخر، تأخذ هذه الأفعال أشكالا متعددة وتتنوع من حيث الشدة والاستقرار وكمية ونوعية الأضرار التي تسببها... يحدث نتيجة حالة أو حالات إحباط تثير درجة عالية من التوتر، يتطور إلى عدوان يعبر عنه في أشكال فعل من أفعال العنف."

مع العلم أن منشآت الإحباط تتعدد في المواقف العنفية داخل الأسرة، فهناك ما كانت مرتبطة بالشخص، وهناك ما كانت مرتبطة بالبيئة الاجتماعية المحيطة بالموقف العنفي، وفي بعض الأحيان تكون عبارة عن تفاعل هذه الأشكال من العوامل.

والجدير بالإشارة، انطلاقا مما جاءت به التعاريف، أن الفعل العنفي الأسري يحدث في حدود المجال الأسري، ويكون فيه الفاعل أحد أو أكثر من الأعضاء داخل الأسرة – وليس فقط أحد الأعضاء كما جاءت به التعاريف السابقة. وهو موجه نحو أحد أو أكثر من أفراد الأسرة، وليس فقط نحو فرد واحد كما سبق من بعض التعاريف، وهذا ما سيوضحه التعريف التالي [19] ، حيث أن العنف الأسري هو شكل:

"... من أشكال الاستخدام غير الشرعي للقوة، قد يصدر عن واحد أو أكثر من أعضاء الأسرة ضد آخر أو آخرين فيها، بقصد قهرهم أو إخضاعهم وبصورة لا تتفق مع حريتهم وإرادتهم الشخصية، أولا نقرها القوانين المكتوبة أو غير المكتوبة".

ومن خلال ما تقدم من تعاريف يتبين أن العنف الأسري من حيث الممارسة ليس مرتبطا بالجنس أو مكانة الفرد داخل الأسرة، لكي يمارس الفرد العنف أو يمارس عليه العنف. إلا أنه في الأساس وانطلاقا مما جاءت به الدراسات الميدانية، يتضح أن الممارسة العنفية ترتبط بالذكور في الغالب، أما الضحية فتكون في الغالب المرأة أو الطفل.

المفهوم الإجرائي للعنف الأسري: العنف الأسري هو علاقة عنفية تميز الأسرة(*)، وذلك من خلال ممارسة أحد أعضـــــائها (أو أكثر) العنف- المادي و/أو المعنوي- على أحد (أو أكثر) من أفرادها وذلك داخل الأسرة.

4- الضحية وضحية العنف الأسري

مفهوم الضحية كباقي المفاهيم في الحقل المعرفي الإنساني ينبثق من بيئة اجتماعية، ذات أبعاد زمانية ومكانية وإنسانية، وهي نسبية كذلك. وموازاة للتطورات الإنسانية اكتسى مفهوم الضحية مضامين أبعد مدى مما كانت عليه سابقا.

من جهة أخرى، سيتم التعامل مع مفهوم الضحية بصفة عامة، بهدف مقاربتها مع مفهوم ضحية العنف الأسري في ظل عدم توفر التعريفات الخاصة بضحايا العنف الأسري بصفة خـــــاصة -وهذا حسب اطلاع الباحث.

من جملة التعريفات المقدمة لمعالجة مفهوم الضحية هناك التعريف التالي (أنطوان نعمة وآخرون، 2001، ص 872):

(*) **يوظف مفهوم الأسرة على مستوى هذه الدراسة للتعبير عن البيئة الاجتماعية الخاصة بضحية العنف الأسري، وهي تتميز بتنوع الظروف المشكلة لها، والتي من بينها العنف الممارس في نطاقها.**

حيث أن الضحية هو "... من يتألم من تصرفات غيره أو يعاني حوادث مشؤومة...من يتحمل الحقد مظالم الآخرين...إلخ".

ربط هذا التعريف الضحية بذلك الشخص الذي تأذى جراء أفعال الغير أو الحوادث العامة. لكن لا يتبين بوضوح على مستوى هذا الطرح التعريفي تجليات هذا الأذى واقعيا، وهذا ما يتضح على مستوى التعريف التالي (محمد الأمين البشري، 2005، ص 34)، حيث من بين معاني الضحية التي وردت في القاموس الأمريكي للتراث، هو:

"أي شخص تعرض لخدعة أو غش أو سلب حقا بطريقة غير مشروعة"

يتبين مما سبق أن الضرر يتعلق بالخديعة والغش وسلب الحقوق بطرق غير مقبولة من الناحية التشريعية، كذلك هذا الاعتداء يتم بصفة مباشرة بالنسبة للضحية.

لكن في الواقع أن ماهية الضرر أو الأذى أو الاعتداء يتسع نطاقه ليشمل حتى من لم يمارس عليهم الاعتداء بصفة مباشرة، وفي هذا المجال يركز التعريف الموالي على ذلك (محمد الأمين البشري، 2005، ص 72):

"يتسع مفهوم الضرر من الجريمة لدى بعض الفقهاء ليشمل جميع أفراد المجتمع الذين تبلغهم أنباء الجريمة وتؤثر فيهم عاطفيا أو نفسيا بمجرد وضعهم في حالة من الإحساس بعدم الأمن والطمأنينة".

يركز هذا التعريف على صنفين من الضحايا: الصنف الأول يتعلق بمن تضرروا بصفة مباشرة من عملية الاعتداء، حيث يصطلح على تسميتهم بالضحايا المباشرين.

أما الصنف الثاني فهو مرتبط بالأشخاص الذين تأثروا نتيجة الأذى الذي تعرض له المتضرر المباشر ويصطلح على تسميتهم بالضحايا غير المباشرين.

كذلك يمكن تصنيف الضحايا في الأسرة، وهذا حسب طبيعتهم إلى: الضحايا النساء، الضحايا الأطفال، الضحايا كبار السن، الضحايا الرجال.

وبالرجوع إلى موضوع الدراسة، ومحاولة لمقاربة الطروحات التعريفية لمفهوم الضحية إلى مفهوم ضحية العنف الأسري يمكن الخروج بـــ:

المفهوم الإجرائي

ضحية العنف الأسري هو فرد من أفراد الأسرة، كان محل لاعتداء أسري، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، من قبل عضو أو أكثر من أعضاء ذات الأسرة.

تتميز ضحية العنف الأسري –على مستوى هذا البحث– بأنها من العائدين إلى الانحراف(*) المتواجدين بالسجن.

ثانيا: التنظير والأشكلة

موضوع الانحراف –العود إلى الانحراف– تناولته العديد من العلوم، وقد تمت معالجته وفق أطر مرجعية مختلفة من الناحية المعرفية والمنهجية، وهذا بالنظر إلى خصوصية كل علم. ومن ضمن تلك العلوم نجد الطرح البيولوجي الذي يندرج تحته الاتجاه الأنثروبولوجي الجنائي، كذلك الطرح السيكولوجي، بالإضافة إلى الطرح السوسيولوجي.

وقبل الانطلاق في عملية مقاربة الطرح النظري الانحرافي إلى خصوصية موضوع الدراسة (العود إلى الانحراف عند ضحايا العنف الأسري في

(*) العائد إلى الانحراف على مستوى هذا البحث هو ذلك الشخص الذي انتقل من جديد إلى ارتكاب الانحراف بما في ذلك الجريمة، وهو يتواجد حاليا في السجن.

المجتمع الجزائري)، تجدر الإشارة أنه تم التعامل مع بعض الطروحات النظرية دون غيرها في الحقل الانحرافي، وهذا لأنها تعد الأقرب لإجراء قراءة علمية لموضوع الدراسة في ضوء معطياتها النظرية.

يبرز هنا في هذا ميدان الأعمال التي قدمها مجموعة من العلماء، حيث نجد ضمن الاتجاه الانتروبولوجي الجنائي طرح أنريكو فيري الذي ينظر لفكرة تعدد العوامل المساهمة في حدوث السلوك الإجرامي، حيث اعتبره عبارة عن نتاج تفاعل عوامل داخلية خاصة بالمجرم (من الناحية العضوية، النفسية، العقلية)، وأخرى خارجية تتعلق بالبيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة بالشخص المجرم.

في ذات الاتجاه العلمي هناك كذلك طرح الزوجين **شيلدون وإليانور جلويك** حيث توصلا إلى اعتبار أن السلوك الإجرامي هو حصيلة تضافر كل من العوامل البيو-نفسية والعوامل الاجتماعية، كما أنه لا يمكن لأي باحث أن يفصل بيقين جازم أن سلوك إجرامي ما، هو إلاّ نتاج للعوامل البيولوجية أو حصيلة تأثير العوامل الاجتماعية، وإنما يستطيع الباحث فقط أن يرجّح أثر عامل على عامل آخر فقط. وفي مجال دراسة العود إلى الانحراف توصل الباحثان إلى أنه لا يمكن إرجاع حدوثه لعوامل شخصية تتوقف عند مستوى الفرد العائد وإنما هو حصيلة عوامل عامة مركبة دائما(محمد سلامة محمد غباري،1998، ص 80). ويمكن اعتبار هذه العوامل المركبة حسب تعبير الباحثين بمثابة مميزات وخصائص وظروف تحيط بالشخص العائد إلى الانحراف – الذي هو في الأصل ضحية العنف الأسري – حيث يهدف على مستوى البحث الحالي معرفة البعض من تلك الخصائص.

اما الطرح السيكو- اجرامي يركز على الحتمية النفسية في تفسير نشوء السلوك الإجرامي إلا انه يفتح الباب أمام الاعتراف بدور البيئة الاجتماعية في عملية إنتاج هذا السلوك في المجتمع. إلا انه يبقى مجرد دور ثانوي مقابل العامل النفسي.

ومن ضمن الإعمال الرائدة في هذا السياق- والتي يمكن على ضوئها قراءة موضوع الدراسة — هناك **طرح فرويد** الذي يرى فيه أن السلوك الانحرافي (الإجرامي) هو نتاج غياب التوازن والتكامل بين الجوانب الديناميكية الأساسية المكونة للشخصية.ويبرز ذلك خاصة في حالة ضعف الأنا العقلانية في إيجاد صيغة توفيقية بين مثالية الأنا الأعلى وشهوانية الهو.

وبغية إجراء محاولة لقراءة موضوع الدراسة على ضوء الطرح الفرويدي، يمكن افتراض أن مرحلة الطفولة لدى العائد تميزت بعدم الاستقرار، و لم تربطه خلالها علاقة سوية بوالديه وخاصة بأمه، كما يكون قد شهد خلالها خبرات قاسية أثرت سلبا على نموه السوي لشخصيته، مما أدى به إلى انتهاج السلوك المنحرف في إشباع حاجاته.

موازاة لما سبق هناك طرح **أوقيست إشورن:** الذي يندرج ضمن التحليل النفسي في تفسير السلوك الإجرامي وهو يقوم على أساس أن المنحرف هو ضحية تنشئة اجتماعية غير سوية ترتكز على الاقتداء بنموذج (أنا مثالي) غير سوي يشجع على الانحراف.

يفتح هذا الطرح الحوار أمام إمكانية توقع أن يكون الشخص العائد إلى الانحراف هو بدوره ضحية من ضحايا المجتمع، وهذا نتيجة لتلقيه تربية سيئة، تقوم على أساس نموذج يشجع على الانحراف والجريمة داخل وخارج الأسرة.

إضافة لما سبق يجمع علماء سوسيولوجية الانحراف على أن الظاهرة الانحرافية هي نتاج اجتماعي، ولهذا كانت معظم التحاليل والدراسات السوسيولوجية تقوم على فكرة محورية في معالجتها للانحراف، حيث اعتبرت البيئة الاجتماعية بمثابة الحقل الأساس التي تنبثق منه الظاهرة الانحرافية. من جهة أخرى، هناك تباين ملحوظ فيما يخص المعالجات السوسيولوجية للظاهرة الانحرافية، إذ عولجت وفق نتاج هائل من النظريات السوسيولوجية ذات الطروحات المختلفة. ومن بين تلك الطروحات- سيتم مناقشة البعض منها، وهذا وفق خصوصية موضوع الدراسة- هناك:

- **الطرح الإيكولوجي لدى كليفاورد شو** الذي قام بعدة دراسات بغية تفسير الانحراف الاجتماعي، والتي أكد من خلالها فرضية كون أن الظروف الإيكولوجية التي تميز منطقة أو حيز معير تؤثر في نمو وانتشار الانحراف -بما في ذلك العود إليه- فيما بين أفراد تلك المنطقة.

وعلى ضوء ما جاء به الطرح لدى كليفاورد شو يمكن إجراء قراءة سوسيولوجية لموضوع الدراسة على النحو التالي: يمكن اعتبار العود إلى الانحراف لدى ضحايا العنف الأسري سلوك انحرافي ينتج عن بيئة الأسرة التي تتميز بظروف إيكولوجية سيئة من الناحية: الاقتصادية، الصحية، العمرانية، الديموغرافية، التعليمية، الضبطية...الخ. في ظل تلك الظروف السلبية أمام توافق وإعادة إدماج المنحرف في المجتمع ، يجد الضحايا العائدون إلى الانحراف ذاتهم في انجذاب مستمر نحو اللامتثال واللاتوافق الاجتماعي بفعل كثرة الظروف الإيكولوجية الطاردة.

- **طرح التقليد الاجتماعي لدى تارد** الذي يركز على أن الانحراف في المجتمع لا يورث بيولوجيا وإنما يورث اجتماعيا، وهذا لا يعني بالضرورة

إنكار دور العوامل الوراثية أو حتى النفسية. ولهذا اعتقد (تارد) أن أساس تكوين الظاهرة الانحرافية ينبثق من الوسط الاجتماعي وهذا "...بمقتضى عملية اجتماعية هي عملية التقليد التي تتم عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشر بين طائفتين من الأشخاص إحداهما منشئة وأخرى مقلدة".(عبد الرحمن محمد أبو توتة ، 2001 ، ص124) ولكي يتم اكتساب السلوك الانحرافي خلال عملية التقليد الاجتماعي يجب توفر البيئة الاجتماعية التي تتميز باللاتنظيم الاجتماعي، وهذا لكي يسمح بالاتصال بين المجرمين والأسوياء، حيث أن الفوضى الاجتماعية تضعف من قوة أساليب ومؤسسات الضبط الاجتماعي.

يمكن إجراء مقاربة نظرية على ضوء ما قدمه (تارد) ، وذلك باعتبار أن البيئة الاجتماعية –الأسرة، الشارع، المدرسة، جماعة الرفاق...– للضحية العائدة إلى الانحراف تكون مشجعة على اكتساب الانحراف والعود إليه.

– **الطرح المتعدد العوامل لدى سذرلاند** الذي يقوم ينطلق في تفسير السلوك الانحرافي كظاهرة اجتماعية من اعتباره سلوك مكتسب اجتماعيا عن طريق التعلم "فالفرد يتعلم هذا السلوك من اختلاطه بغيره عن طريق مجالستهم، فالشخص الذي لم يتعلم السلوك الإجرامي لا يستطيع إتيانه...وعليه يمكن القول بأن شروط إنتاج الجنوح حسب (سذرلاند) تتحدد في التعلم والاتصال والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد...."[17].

والسلوك الانحرافي لدى (سذرلاند) يحدث جراء غلبة تواجد النموذج الخاص بالسلوك الانحرافي، وهذا أمام ضعف عرض تواجد السلوك السوي.

من جهة أخرى يعتبر طرح (سذرلاند) محاولة لتفسير الظاهرة الانحرافية من زاويتين أو وفق مستويين:

المستوى الأول الخاص بالجانب النفسي للفرد، والمستوى الثاني الخاص بالمجتمع وهي محاولة من صاحب النظرية أن يحقق "...التوازن بين العوامل الفردية والعوامل الاجتماعية عند دراسة السلوك المنحرف." (فرانك ب وليامز III واخرون، 1999،ص123).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن بناء مقاربة من أجل قراءة ظاهرة العود الى الانحراف لدى ضحايا العنف الاسري وذلك على النحو التالي: إن ضحية العنف الأسري تنساق نحو الانحراف والعود إليه نتيجة أسبقية واستمرارية وقوة تأثير النموذج المحرض على الانحراف، وهذا مقابل تداعي النموذج السوي كبديل سلوكي. كذلك من الممكن أن يكون العائد إلى الانحراف هو نتاج الظروف الأسرية المحرضة على تعلم الانحراف.

انطلاقا مما تم عرضه من نظريات يتبين —ولو جزئيا- أنها طروحات علمية تنبثق بالأساس من منطلقات علمية محدودة النطاق، إذ أنها لا تتعدى في الغالب حدود التخصص المعرفي التي تصنف ضمنه، وهذا لا يعني أنه لا توجد بعض المحاولات للانفتاح العلمي الجاد من أجل بناء الطرح المتعدد العوامل على مستوى تلك النظريات.

ورغم ما سبق سيتم محاولة استنطاق الميدان من اجل استكشاف الخصائص (الشخصية والأسرية والايكولوجية) المميزة للضحايا العنف الأسري الذين عادوا إلى الانحراف. مع العلم أن تلك الخصائص هي بمرتبة العوامل، وهذا حسب ما تم تناوله من نظريات سابقة.

ثالثا– ضحايا العنف الأسري على ضوء الدراسات الحديثة

الدراسات الحديثة

هناك من يعتقد من المختصين في العنف الأسري وآثاره في المجتمعات العربية، أنه تم هناك إهمال لهذا الموضوع من قبل الباحثين العرب من قبل. وربما من أسباب ذلك هناك قلة المعلومات فيما يخص هذه الظاهرة التي تعد من الطابوهات في المجتمع. إلا أنه يسجل إنتاج جد ضخم على مستوى الباحثين الغربيين في هذا الموضوع. ولعل من أسباب ذلك شدة وتيرة التطور المجتمعي على مستوى العالم المتقدم، وما نجم عنه من آثار لعل من بين أهمها العنف الأسري وضحاياه. ومن الدراسات الأجنبية (سواء كانت غربية أو عربية) هناك على سبيل الذكر الدراسات التالية:

1–الدراسات العربية

دراسة مصطفى عمر التير: العنف الأسري في الدول العربية

من بين نتائج هذه الدراسة لتي أجريت سنة **1997** يمكن ذكر ما يلي (عباس أبو شامة عبد المحمود، ومحمد الأمين البشري، 2005، ص ص 32-34)

– "...نسبة الذكور من بين مرتكبي العنف العائلي تصل إلى 90 % "

– " ثلاث أرباع عينة الضحايا في العنف الأسري من الإناث"

– "...غالبية مرتكبي العنف العائلي من مستويات عمرية أعلى من الضحايا"

هذه الدراسة تعتبر مهمة بالنسبة لموضوع البحث الحالي، وذلك من جهة لفت الانتباه إلى ضرورة معرفة بعض الخصائص المتعلقة بالمعتدي/ الممارس للعنف على ضحية العنف الأسري.

دراسة الزهراني :ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي

من بين نتائج هذه الدراسة التي أجريت سنة **2003** هناك:(احمد محمد الشهري، 2006، ص 82)

- الإيذاء النفسي يعتبر أكثر الأنواع الموجهة نحو الأطفال بنسبة33.6 %. يليه الإيذاء البدني بنسبة25.3 %. وأخيرا الإهمال بنسبة23.9 %.

- أظهرت النتائج وجود تفاوت في تعرض الأطفال للإيذاء باختلاف الفئات العمرية، ففيما يخص الإيذاء النفسي جاءت اكبر نسبة خاصة بفئة المراهقين المتمدرسين بالمتوسط والثانوي وذلك بنسبة 66.7%.

- أما فيما تعلق بالإيذاء البدني فأعلى نسبة كانت خاصة بالمراهقين المتمدرسين بالمتوسط والثانوي وذلك بنسبة 53.7%.

- من جهة إهمال الأطفال فقد تبين أنهم تعرضوا لذلك بصفة دائمة وهم مراهقون (مرحلتي المتوسط والثانوي) وذلك بنسبة 54.2%.

تعبر نتائج الدراسة جد مهمة بالنسبة للموضوع الحالي وذلك من جهة توجيه الاهتمام نحو معرفة متى كان العائد إلى الانحراف يتعرض للعنف الأسري؟ ،وكذلك ماهي أشكال العنف التي مورست عليه داخل الأسرة ؟

2 – الدراسات الغربية

دراسة ميكو يوشيهاما وآخرون–المنظمة العالمية للصحة : العنف الأسري وآثاره

من بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة سنة **2002** (عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشري، 2005، ص ص 26-27):

-"...ثلثي النساء في العالم يتعرضن للإساءة والإيذاء البدني من جراء العنف الذي يرتكب ضدهن داخل المترل"

-"...النساء اللاتي يتعرضن للإيذاء الجسدي يجدن أنفسهن قد وقعن فريسة لمشكلات صحية ونفسية نتيجة للإجهاض المتكرر والاكتئاب، مما يدفع نحو ثلثي هؤلاء الضحايا إلى محاولة الانتحار والميل للتدخين وإدمان الكحوليات والمخدرات"

توجه هذه النتائج الدراسة الحالية نحو ضرورة استكشاف آثار العنف الممارسة على الضحية، وهذا على الأقل من وجهة نظرها الخاصة.

دراسة موغاي وكانتور Murray & Kantor : العنف الاسري (تغيير في معدلات اعتداء احد الزوجين خلال الفترة 1975-1992)

خلصت هذه الدراسة إلى ترتيب لأشكال العنف الممارس بين الزوجين، وذلك حسب انتشارها على النحو التالي (عباس أبو شامة عبد المحمود، ومحمد الأمين البشري، 2005، ص ص 30-31):

أ- العنف البسيط

1- قذف مادة نحو الأرض

2- الدفع باليدين

3- الجذب بعنف.

ب- العنف الجسيم:

1- الضرب باليد أو القدم

2- الضرب أو محاولة الضرب بشيء ما

3- الضرب المبرح

4- التخويف أو التهديد بالسكين أو السلاح الناري

5- استعمال السكين أو السلاح الناري.

يمكن الاستفادة من نتائج هذه الدراسة وذلك بتوجيه البحث الحالي نحو استكشاف أشكال العنف الممارس على ضحية العنف الأسري الممارسة للانحراف من جديد.

رابعا– المقاربة المنهجية للدراسة الميدانية

يتطلب العمل البحثي الحالي معالجة منهجية تتبنى الدراسة الاستكشافية، بهدف محاولة ملامسة واقع الخصائص الشخصية والأسرية والايكولوجية لضحايا العنف الأسري – دراسة حالة الضحايا العائدين إلى الانحراف. وهذا بغية الخروج بوضع فرضية أو فرضيات تكون بمثابة الإجابة المؤقتة على بعض التساؤلات السوسيولوجية المثارة حول موضوع الدراسة في المجتمع الجزائري. وهذا في ظل الغموض الذي يكتنف هذه الظاهرة على مستوى الأعمال الأكاديمية في الجامعة الجزائرية.

من جهة أخرى، سيتم توظيف منهج دراسة الحالة، وهذا بهدف التركيز العمودي على الخصائص الشخصية والأسرية والايكولوجية المميزة لضحايا العنف الأسري. مع اعتماد أسلوب التاريخ الشخصي لحياة العائد إلى الانحراف والذي هو ضحية للعنف الأسري.

ومن أجل استقصاء البيانات الميدانية تم استخدام استمارة المقابلة المقننة، والتي تضمنت 35 سؤالا.

أما فيما يخص مجالات الدراسة، فقد أجريت الدراسة الميدانية على مستوى سجني ولاية عنـــابة (مؤسسة إعادة التأهيل ومؤسسة إعادة التربية). في حين انطلقت الدراسة الميدانية من 15 ماي إلى غاية نهاية جوان 2006 وقد تعلق مجتمع البحث بأولئك العائدين إلى الجريمة الذين هم ضحايا العنف الأسري.

وقد اختيرت عينة الدراسة بصفة قصدية من مجتمع البحث، وذلك لضمان توفر شرط تعرض مفردات العينة إلى العنف الأسري. وقد بلغ حجمها 6 أفراد: منهم 4 ذكور و2 إناث، وهم يتميزون بجملة من الخصائص الشخصية من بينها:

- **السن:** أغلب المفردات في سن الشباب (17-33). ما عدا حالة بلغ عمرها 57 سنة.
- **مكان الولادة:** أغلبها من ولايات الشرق الجزائري (عنابة - الطارف).
- **الحالة المدنية:** أغلب أفراد العينة عزاب، ما عدا هناك من هو متزوج وآخر مطلق.
- **الحالة النشاطية (المهنية):** كل الحالات تعاني من البطالة.
- **الحالة الصحيـــة:** أغلب الحالات تعاني من الأمراض، إما عضويا: الكلى، القلب، الأعصاب، أو نفسيا: القلق إدمان المخدرات.
- **المستوى التعليمي:** أغلب الحالات لم تتعدى مرحلة الابتدائي، ما عدا حالتين بلغتا مرحلة الأساسي.
- **من حيث الترتيب في الولادة:**
  - ثلث الحالات: الأوائل في الولادة
  - ثلث الحالات: ضمن الأواسط
  - ثلث الحالات: ضمن الولادات الأخيرة.
- **من حيث الميسرة الانحرافية والإجرامية:**

جل الحالات دخلت إلى عالم الانحراف والجريمة في مرحلة المراهقة، وذلك بصفة جد واضحة - مع إمكانية حدوث ذلك خلال مرحلة

الطفولة. أما من حيث طبيعة الجرائم والانحرافات المرتكبة فهي تصنف في الغالب ضمن خانة جرائم العنف المادي (الضرب، الاعتداء، السرقة...)

- **تاريخ الضحية من حيث التعرض إلى العنف:**

كل الحالات كانت ضحية للعنف الأسري بصفة مباشرة وغير مباشرة. كان هذا الاعتداء يحدث بصفة جد واضحة خلال مرحلة المراهقة، مع تسجيل إمكانية حدوثه خلال مرحلة الطفولة، لكن بلغ ذروته من حيث الشدة والاستمرار في المراهقة، من جهة أخرى كل الحالات كانت ضحية للعنف المعنوي، في حين أغلبها كانت عرضة للعنف المادي.

خامسا – النتـــــائج

انطلاقا مما جاءت به الدراسة الميدانية يمكن التركيز على النتائج التالية:

- **من ناحية الخصائص الشخصية للضحية العائدة إلى الانحراف:**

✓ قد تبين أن أغلبية ضحايا العنف الأسري أفراد ذووا شخصيات غير سوية في المجتمع، وذلك من عدة نواحي: فهم في الغالب لم يتخطوا المرحلة الابتدائية، كذلك لا يمارسون أي نشاط تكسبي. من جهة أخرى أغلبهم يعانون من الأمراض سواء أكانت عضوية أو نفسية أو الاثنين معا. بالإضافة فإن أولئك الضحايا قد ولجوا إلى عالم الانحراف والجريمة –في الغالب– خلال مرحلة المراهقة. والطابع العام لضحايا العنف الأسري، فيما يخص الجرائم المرتكبة هو أن جرائمهم تصنف ضمن جرائم العنف المادي (الضرب، الاعتداء).

✓ من زاوية أخرى، وخلال ذات مرحلة المراهقة، مورس على الحالات العنف المادي والذي يتجلى في أحد أو كل الأنواع التالية:

- الضرب، الضرب المبرح، الخنق، التهديد باستخدام السكين، التنكيل، الحرق.

✓ كذلك مورس على الضحايا العنف المعنوي، وقد تجلى في إحدى الأشكال التالية، أوكلها، وهذا حسب الحالة:

- الشتم والتجريح، الإهمال العاطفي من قبل الأب، قسوة المعاملة عدم احترام وتقبل الحالة.

✓ أما فيما يخص المعتدي (الممارس للعنف) ففي الغالب ارتبط الأمر بأحد الوالدين، والأكثر هو الأب. يساعده في بعض الأحيان الأخ الأكبر، وقلما تساعده في ذلك الأم. ويكون العنف موجه في الغالب نحو الضحية محل الدراسة، وفي حالة كون الضحية غير مباشرة، فغالبا ما تكون الضحية المباشرة الأم، ونادرا ما يكون الأخ أو الأب من الضحايا.

✓ **ومن الآثار الواضحة جراء التعرض للعنف الأسري، يمكن التركيز على ما يلي:**

- استخدام الضحية العنف المادي في التعامل الاجتماعي مع الآخرين.

- عدم تقبل الواقع الأسري، وقد تجلى ذلك في الهروب من المنزل، أو البحث عن أي جريمة لارتكابها من أجل الدخول إلى السجن.

- وكذلك عدم تقبل الذات، ويتجلى ذلك في الإدمان على المخدرات والخمر.

● من ناحية الخصائص الأسرية للضحية العائدة إلى الانحراف ، فقد تبين بوضوح أن:

✓ أغلب الأسر تعاني من التفكك المادي الذي يتعلق أساسا بوفاة احد الوالدين (في الغالب الأم)، وبدرجة أقل يتعلق الأمر بالطلاق.

✓ نصف الأسر تعاني من إحدى الأمراض التالية: الضغط الدموي، القلب، السكري.

✓ فيما يخص المستوى الاقتصادي التي تعيش فيه الأسر فقد تباين مستواها من: الفقر الشديد إلى متوسط الحال، إلى العيش المريح.

✓ من ناحية المستوى التعليمي للوالدين، فقد اتضح أن نصفهم أميين.

✓ من الناحية العلائقية تبين أن كل الأسر يميزها بصفة عامة التفكك المعنوي، الذي تجلى في:

علاقة جد سلبية ربطت بين الضحية والأب، وبدرجة أقل بينها وبين الأخ الأكبر.

✓ من الناحية التربوية، كل الحالات تلقت نموذج تربوي غير سوي في عملية بناء الشخصية السليمة نفسيا ومجتمعيا. ومن بين مميزات تلك التربية هناك (مرتبة حسب تكرارها في الأسر):

- تربية متناقضة، ينتهج فيها القسوة والتسامح في آن واحد.
- تربية لم يراع فيها ضرورة تلبية الحاجات المعنوية، التي يتطلبها النمو السليم لشخصية الإنسان ويظهر ذلك خاصة عند الأب.
- تربية كان الفاعل الأساس فيها الأم فقط، حيث تحملت وحدها في الغالب مسؤولية التربية وذلك في ظل إهمال الأب، أو في ظل انتهاجه أسلوب العنف في التربية.

● من ناحية الخصائص الإيكولوجية للضحية العائدة إلى الانحراف ، فقد اتضح أن:

✓ أغلب الحالات ترعرعت في مناطق حضرية، بها أحياء مكتظة بالسكان.

✓ ثلث الأحياء –حسب الحالات المدروسة- يسجل فيها ارتفاع نسب الإجرام بين القاطنين على مستواها.

✓ من جهة أخرى أغلب أسر الحالات تسكن في شقق ملك لها، وهي بصفة عامة مقبولة للعيش.

الخلاصـــــة

انطلاقا من المعالجة المعرفية والمنهجية والميدانية لموضوع الدراسة، يتبين في الغالب أن ضحايا العنف الأسري، (حالة الضحايا العائدين منهم إلى الانحراف) يتميزون بجملة من الخصائص الشخصية والأسرية، والإيكولوجية. و التي من الممكن أن تكون- تلك الخصائص- قد مهدت الطريق ولو نسبيا أمام ضحايا العنف الأسري، نحو انتهاجهم الممارسة الانحرافية بما في ذلك الإجرامية والعنفية، في تعاملاتهم الاجتماعية في المجتمع الجزائري، حيث أن ضحية العنف الأسري تحولت إلى معتدية وممارسة للعنف إما داخل الأسرة أو خارجها.

ولهذا يمكن جدا افتراض أن:

البيئة الأسرية لم تعد مؤهلة كفاية لكي تضمن أداء وظيفتها في المجتمع

عوامل البيئة الأسرية(بما في ذلك ممارسة العنف فيها) ساهمت في عود ضحية العنف الأسري الى الانحراف من جديد في المجتمع الجزائري

ولعل ما تقدم من افتراضات يحتاج إلى دراسات سوسيولوجية ومتخصصة أخرى لتبيان مدى صدقها من عدمه.

الهوامش

الكتـــــب باللغة العربية:

1- أبو شامة عبد المحمود عباس ، محمد الأمين البشري: *العنف الأسري في ظل العولمة*، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2005.

2- أحمد حبيب السماك ، ظاهرة العود إلى الجريمة (في الشريعة الإسلامية والفقه الجنائي الوضعي)، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، 1985.

3- أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، *علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)*، ترجمة وتقديم فايز الصباغ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

4- صالح السعد، *علم المجني عليه (ضحايا الجريمة)*، ط1، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، 1999.

5- عبد الرحمن محمد أبو توتة، *علم الإجرام*، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2001

6- فاروق عبد السلام، *العود إلى الجريمة (من منظور نفسي اجتماعي)*، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، 1988.

7- فرانك ب وليامز III،وماك شان ماريلين د، *السلوك الإجرامي (النظريات)*، ترجمة وتعليق، السمري عدلي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999.

8- محمد الأمين البشري، *علم ضحايا الجريمة (وتطبيقاته في الدول العربية)*، ط1، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 2005.

9- محمد سلامة محمد غباري ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين (ودور الخدمة الاجتماعية معهم)، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1998.

10- مصطفى عمر التير، *العنف العائلي*، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1997.

الكتب باللغة الفرنسية:

Albert Ogien, *Sociologie de la déviance*, 2ème édition ,Paris, Armand colin, 1999

المعاجم والقواميـــــس:

12- ابتسام القرام ،*المصطلحات القانونية في التشريع الجزائري(عربي-فرنسي)* ، ط2 ، مؤسسة الفنون المطبعية الجزائر 1992 ص ص 233-234. راجع المواد 54-60 من قانون العقوبات الجزائري.

13- أنطوان نعمة وآخرون، *المنجد في اللغة العربية المعاصرة* ، دار المشرق، بيروت، 2001.

14- كرم البستاني وآخرون، *المنجد في اللغة والإعلام*، ط 36، بيروت، دار المشرق، 1997 .

15 -محمود أبو زيد، *المعجم في علم الإجرام والاجتماع القانوني والعقاب*، ط1، القاهرة، دار غريب، 2003.

الرسائل الجامعية:

16- احمد محمد الشهري، *الخصائص النفسية والاجتماعية والعضوية للاطفال المتعرضين للايذاء*، دراسة مسحية مقارنة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية، تخصص رعاية وتأهيل، قسم العلوم الاجتماعية، كلية الدراسات العليا ،أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ،المملكة العربية السعودية ،إشراف د محمد جعفر ثابت،2006.

المراجع الإلكترونية:

17- عبد الرحيم العطري ، **المؤسسة العقابية وإعادة إنتاج الجنوح.**

www.reggal.com/debat

18- justice.gc.ca/fr.Canada

19- www.ejtmay.com